الحلقة (٥)

▣ النوع الثاني من أنواع التوحيد وهو توحيد الألوهية

تعريفه: هو توحيد الله سبحانه وتعالى بأفعاله وتوحيد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، يقول الشيخ حافظ حكمي في منظومته سلم الوصول

هذا وثاني نوعي التوحيد   إفراد رب العرش عن نديدِ
أن تعبد الله إلها واحدا   معترفا بحقه لا جــاحدا

ولهذا النوع وهذا القسم أسماء أخرى يسمى بها، فهو توحيد الألوهية باعتبار إضافته إلى الله عز وجل أو باعتبار الموحَّد، وهو توحيد العبادة باعتبار إضافته إلى الموحِّد وهو العبد ولتضمنه إخلاص العبادة لله وحده، وأيضا هو توحيد الإرادة لتضمنه الإخلاص والمراد فهو مبني على إرادة وجه الله بالأعمال، وهو توحيد القصد والطلب لتضمنه الطلب والدعاء من العبد لله وإخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده، أيضا هو توحيد الفعل والعمل لتضمنه لأفعال القلوب والجوارح ومبني على إخلاص العمل لله عز وجل، إذن هو توحيد الألوهية باعتبار الموحَّد، وهو توحيد العبادة باعتبار إضافته إلى الموحِّد وهو العبد، وهو توحيد الإرادة لتضمنه الإخلاص، وهو توحيد القصد والطلب لتضمنه الدعاء والطلب من العبد لله، وهو توحيد الفعل والعمل لتضمنه أفعال القلوب والجوارح، هذا النوع من التوحيد وهذا القسم من أقسام التوحيد أهم أنواع التوحيد، **فمن أجل تحقيق هذا النوع من التوحيد أرسلت الرسل** أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل لعباده إلى الجن والإنس لتحقيق هذا النوع وأنزل الكتب من السماء لتحقيق أيضا هذا النوع وسلت سيوف الجهاد من أجل هذا النوع من أنواع التوحيد وفرّق هذا التوحيد بين المؤمنين والكافرين وقبول الأعمال متوقف عليه.

وهو متضمن لجميع أنواع التوحيد فكلها تدخل فيه، فمن اعتقده فهو معتقد لغيره من أنواع التوحيد، توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، ومن اكتفى بغيره دونه لم يدخل في الإسلام، وعلى ذلك حارب النبي صلى الله عليه وسلم قومه كفار قريش عندما لم يوحدوا هذا التوحيد، والله سبحانه وتعالى يقول {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون} وقال {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} وقد جاء في السنة ما رواه البخاري رحمه الله ومسلم وغيرهما من حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال : (كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. فقال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا. قلت: أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا) هذا فضل عظيم من الله سبحانه وتعالى لمن يحقق هذا النوع من التوحيد.

النبي صلى الله عليه وسلم دعا إلى هذا النوع من التوحيد دعا إلى شهادة أن لا إله إلا الله لا يعبد إلا

الله سبحانه وهي كلمة التوحيد، وهنا نستطرد في معنى كلمة التوحيد، والتي هي أساس الدين لا إلٰه إلا الله وأنها أول ركن من أركان الإسلام، وأعلا شعبة من شعب الإيمان لا إلٰه إلا الله كما ورد ذلك في الحديث، وهي أول واجب على المكلف، وآخر ما على المسلم أن يقوله قبل موته (من كان آخر كلامه من الدنيا لا إلٰه إلا الله دخل الجنة).

وقبول الأعمال متوقف على النطق بها والعمل بمقتضاها، ومعنى هذه الكلمة لا إلٰه إلا الله: لا معبود حق إلا الله، ولا يجوز أن نقول إن معناها لا خالق إلا الله أو لا موجود إلا الله كما ورد ذلك عن بعض النحويين من أنه لابد من تقدير أي لا إلٰه في الوجود إلا الله وهذا باطل، فإن المعنى الصحيح لها أنه لا إلٰه إلا الله: لا معبود حقٌّ إلا الله.

وكلمة (إلٰه) في لغة العرب: فعال بمعنى مفعول كغراس بمعنى مغروس وفراش بمعنى مفروش وكتاب بمعنى مكتوب فإله فعال بمعنى مفعول، أي مألوه، والتأله في لغة العرب معناه التنسك والتعبد، فمألوه معناه معبود، ومنه قول رؤبة: لله در الغانيات المدة *** سبحن واسترجعن من تألهي

وكفار قريش المشركين في الجاهلية كانوا لا ينكرون أنه لا خالق إلا الله وعندما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم قولوا لا إلٰه إلا الله قالوا: أجعل الآلهة إلها واحدا.

هذه الكلمة لها ركنان:

- **الأول**: نفي في قوله "لا إلٰه"
- **الثاني**: إثبات في قوله "إلا الله"

فـ"لا إلٰه" نفت الألوهية عن كل ما سوى الله و"إلا الله" أثبتت الألوهية لله وحده لا شريك له، وهذا الأسلوب يعرف في لغة العرب بأسلوب القصر، والقصر في كلمة التوحيد هو النفي والاستثناء.

هذه الكلمة لها شروط، وشروطها لا تصح إلا إذا اجتمعت واستكملها العبد والتزمها دون مناقضة لشيء منها، وليس المراد بهذه الشروط عد ألفاظها وحفظها، لكن المقصود العمل بها، فكم من عامي اجتمعت فيه والتزم بها ولو قيل له عدها لم يحسن ذلك، وكم من حافظ لهذه الشروط تراه يقع كثيرا في مخالفتها أو ما يناقضها، وهذه الشروط مستخرجة بالتتبع والاستقراء وقد نظمها الشيخ حافظ حكمي رحمه الله في منظومة (سلم الوصول) بقوله:

العلم واليقين والقبول *** والأنقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة *** وفقك الله لما أحبه

وقد زيد شرط ثامن:

وزيد ثامنها الكفران منك بما *** سوى الإله من الأوثان قد أُله

وهو مستنبط من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من قال لا إلٰه إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه) إذن نقول هذه التقسيمات والشروط ونظمها وجمعها المقصود من ذلك هو التزامها

والعمل بها، لا المقصود عد الألفاظ والحفظ.
هذه الشروط السبعة هي شروط لا إلٰه إلا الله التي يجب على كل قائل بهذه الكلمة أن تتوفر فيه حتى تقبل منه، هذا فيما يتعلق بتوحيد الألوهية على سبيل الإجمال والاختصار.

▣ النوع الثالث من أنواع التوحيد هو توحيد الأسماء والصفات

المراد به: هو أن يوصف الله سبحانه وتعالى ويسمى بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم أو رسله عليهم السلام، وينفى عنه ما نفى عن نفسه أو نفاه عنه رسله عليهم السلام، إذن نثبت لله ما أثبت لنفسه وننفي عن الله ما نفاه عن نفسه.
باختصار: أي نثبت لله من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم أو رسله عليهم السلام، وننفي عن الله ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسله عليهم السلام
هذا بيان المعنى أما التعريف أو مذهب السلف في توحيد الأسماء والصفات مذهب أهل السنة والجماعة لأنا سنجد اختلافا كثيرا، لأن هذا التوحيد طرأ عليه من البدع والحوادث ما الله به عليم، وخالف فيه من خالف من أهل الكلام وغيرهم من المبتدعة الذين ضلوا طريق الحق.

❖ مذهب أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات:

أنهم **يثبتون لله** ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسول الله صلى الله عليه وسلم **من غير تكييف ومن غير تشبيه ومن غير تمثيل ومن غير تحريف ومن غير تعطيل ومن غير تأويل**، هذا هو مذهب السلف الصالح أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، وبيان التعريف ما يلي:
نقول السلف الصالح يثبتون لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف.
١- **التكييف**: هو حكاية كيفية الصفة، فالسلف الصالح ينفون إثبات ذلك، يعني لا يثبتون لله سبحانه وتعالى كيفية الصفة، وإنما يثبتون الصفة على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى، إذن يختلف أهل السنة والجماعة عن المشبهة والمجسمة في توحيد الأسماء والصفات: أن المجسمة أنهم يقولون في صفات الله أن لله حياة كحياة الإنسان، أو يقولون مثلا أن لله يداً كيد الإنسان وهنا وقع التشبيه والتجسيم.
أهل السنة يقولون لله يد تليق بجلاله سبحانه وتعالى، كيف؟ الكيف ممنوع لأننا لا ندرك هذه الكيفية، كما قال الإمام مالك في حادثة الاستواء عندما سئل قال: الكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب، إذن الكيفية منفية، لكننا نثبت حقيقة الصفة، ونثبت الصفة لله على وجه الكمال، على وجه يليق بالله سبحانه وتعالى، وبيان ذلك سيرد علينا أثناء الحلقات القادمة.
٢- ينفون أيضا **التشبيه** والمشابهة لا تقع بين الخالق والمخلوق.
٣- وينفون كذلك **التمثيل** هم يثبتون لله الأسماء والصفات، لكن من غير تمثيل، والتمثيل هو

إثبات المثيل للشيء.

وكذلك ينفون عن الله سبحانه وتعالى ما نفاه عن نفسه ونفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم.

٤- من غير تحريف أو تأويل أو تعطيل، فالتحريف تغيير النص لفظا أو معنى، مثل ما فعل أهل الكلام عندما قالوا: الرحمن على العرش استوى قالوا: الرحمن على العرش استولى، استوى بمعنى استولى، فحرفوا النص.

التعطيل معنى كلمة التعطيل أي التوقيف "وبئر معطلة" أي مهجورة، فالتعطيل هو إنكار ما يجب لله سبحانه وتعالى من الأسماء والصفات، أو إنكار بعضاً منها، فالتعطيل هو جحود لأسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته أو لبعض منها.

التأويل ينفون عن الله سبحانه وتعالى ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تأويل، المقصود التأويل الفاسد الذي هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى المرجوح من غير دليل، وليس بمعنى التفسير الذي دعا به النبي لابن عباس.

فالمقصود بالتأويل الذي ينفونه السلف الصالح عن أسماء الله وصفاته هو التأويل المذموم، الذي هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى المرجوح من غير دليل.

❖ **وهناك أسس يقوم عليها أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات:**

▪ **أولها:** أن أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته توقيفية، وما لم يرد به النص يتوقف فيه ويستفصل عن معناه.

فمثلا: إثبات الجسم لله سبحانه وتعالى من الألفاظ الحادثة، فنتوقف لنقول هل لله جسم أو ليس له جسم -سيأتي بيان ذلك- ولكن يقال لهم نتوقف في ذلك ويقال لهم ما مرادكم بالجسم؟ إن تقصدون أن الله سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى ومتصف بالصفات فنحن نؤمن بذلك، وإن كنتم تقصدون بالجسم أنه ما يحتوي على لحم ودم وعظم فهذا منفي عن الله سبحانه وتعالى، إذن أسماء الله وصفاته توقيفية.

▪ **الثاني:** أن كل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فهو حق على حقيقته لا يحتاج إلى من يفسره، فالأسماء والصفات من قبيل المحكم، وإنما الكيفية هي التي من قبيل المتشابه.

▪ **الثالث:** أيضا الكلام في الصفات كالكلام في الذات للباري جل وعلا.

▪ **الرابع:** أن تنزيه الله عن النقائص والعيوب هو تنزيه بلا تعطيل لمعاني الصفات ولا لمدلولاتها.

▪ **الخامس:** أيضا الإجمال في النفي، والتفصيل في الإثبات كيف؟ إجمال في النفي كما جاء في القران { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} إجمال، والتفصيل في الإثبات تمام الآية { وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير } فالإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات، إذ النفي المحض لا كمال فيه بل هو ذم، فطريقة أهل السنة والجماعة هي

الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات.

◄ **هناك قواعد في صفات الله سبحانه وتعالى كالمفاتيح لكم:**

١- أن صفات الله سبحانه وتعالى صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

٢- أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء، وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله، وأفعاله سبحانه وتعالى لا منتهى لها.

❖ **هناك تقسيم للصفات:**

أن صفات الله سبحانه وتعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية ومنفية.

- **الثبوتية:** ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم.
- **المنفية:** هي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم.

← **الثبوتية تنقسم أيضا إلى قسمين:**

o **ذاتية:** هي التي لم يزل الله ولا يزال متصفا بها، وهي التي لا تنفك عنه كالعلم والحياة والقدرة.

o **فعلية:** هي التي تتعلق بمشيئته سبحانه إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء والنزول فالله سبحانه وتعالى يستوي على عرشه وينزل إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية وفعلية باعتبارين:

كصفة الكلام لله عز وجل، فباعتبار أصل هذه الصفة هي صفة ذاتية لله سبحانه وتعالى لم يزل متكلما، وباعتبار آحاد الكلام فهي صفة فعلية لأن الكلام يتعلق بمشيئته سبحانه وتعالى، فيتكلم بمشيئته متى شاء وبما شاء.

بعض الفرق التي أشركت أو ضلت بهذا التوحيد توحيد الأسماء والصفات وسيأتي ذكرها:

منها **الجهمية** أتباع الجهم بن صفوان الذين ينكرون الأسماء والصفات.

ومنها **المعتزلة** أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد الذين يثبتون الأسماء وينكرون الصفات.

ومنها **الأشاعرة** أتباع أبي الحسن الأشعري وهم يثبتون الأسماء وبعض الصفات وقالوا إن لله سبع صفات على ما سيرد تفصيل ذلك.

الماتريدية أصحاب أبي منصور الماتوريدي الذين يثبتون الأسماء وبعض الصفات وإن كان هذا الإثبات مخالف لعقيدة أهل السنة.

الممثلة الذين ضلوا في توحيد الأسماء والصفات، وأثبتوا صفات لله كصفات المخلوقين، وقيل أن أول من قال بذلك هو هشام بن الحكم الرافضي.